مقدمة المُترجمة

تلعب الجامعات البحثية دورًا حاسمًا في رحلة طلب العلم لكل طالب وباحث أكاديمي من خلال ما تقدمه من مِنح وبرامج أكاديمية متطورة. وفي ظل ما يشهده عالمنا اليوم من تطور سريع ومتلاحق في شتى المجالات، ومع دخول عصر الذكاء الاصطناعي بشكل خاص؛ تسعى الجامعات الرائدة حول العالم إلى فهم التحديات العالمية وإيجاد حلول ابتكارية تؤثر إيجابًا على حياة الناس وتنمية المجتمعات. ويبقى السؤال: كيف يستطيع القارئ والباحث في عالمنا المعاصر في الوطن العربي التعرف على تلك التحديات ودخول عالم الجامعات الرائدة؟

هنا نقول إن الجامعات البحثية في مختلف أنحاء العالم تتميز بتقديم بيئة فريدة تشجع على الاكتشاف والتطوير، وهذا في حد ذاته نوع من التنافس المحمود، فهي تضم مجتمعًا من الباحثين والأكاديميين المتميزين الذين يعملون بجد لفهم أعمق للمواضيع المختلفة وتقديم إسهامات فعالة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والطب والعلوم الاجتماعية والإنسانية. ومن بين الجامعات البحثية الرائدة في عالمنا اليوم جامعة هارفارد وجامعة ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية، وجامعتا أكسفورد وكامبريدج في المملكة المتحدة، وجامعة تسنغهوا في الصين، وجامعة هايدلبرج في ألمانيا، بالإضافة إلى العديد من الجامعات الأخرى التي تحظى بسمعة ممتازة في مجال البحث العلمي.

في ضوء ذلك، يوفر هذا الكتاب، الذي شَرُفت بنقله من الإنجليزية إلى العربية، لقراء العربية إجابات هامة حول أهمية التعرف على هذه الجامعات الرائدة، حيث اجتهد مؤلفه، المؤرخ الأمريكي ويليام س. كيربي، أن يثبت للقارئ أن أهمية التعرف على عالم

الجامعات البحثية لا يجب أن يقتصر على الباحثين وطلاب الدراسات العليا فقط، بل لا بد أن يمتد أيضًا إلى المجتمع بأسره، بكل تخصصاته. والأبحاث التي تجريها هذه الجامعات تسهم في تقديم حلول مبتكرة للمشاكل العالمية مثل تغير المناخ والصحة العامة والتكنولوجيا والاقتصاد والسياسة وغيرها، وبالتالي، فإن دعم هذه الجامعات والاستثمار فيها يعتبر استثمارًا في مستقبل مشرق يعود بالنفع على الجميع.

هذا الكتاب يُدخِل القارئ العربي عالم الجامعات في عصرنا الحديث من خلال عرض بانوراما لنشأتها والخلفية التاريخية التي تأسست عليها كل جامعة، في أكبر مؤسسات العالم وأشهرها، فخرج العمل مزيجًا من السرد التاريخي، لكون المؤلف مؤرخًا بارزًا وأكاديمي قديرًا، وقلَّما نجد عملًا يضع القارئ أمام تاريخ بهذا التفصيل والوضوح يغطي في الجزء الأول نشاة الجامعة في ألمانيا، عبر ما يمكن اعتباره نموذج جامعة برلين الحرة، ولاحقًا جامعة برلين الحديثة (هومبولت). وقد انتقل المؤلف إلى الجانب الآخر من الأطلسي إلى الجامعات في أمريكا، وفي هذا الجزء يؤرخ لجامعات: هارفارد وبيركلي وديوك.

في الجزء الثاني من الكتاب، انفرد المؤلف من خلال أربعة فصول كاملة بالتأريخ للجامعات الصينية، وأبرزها: جامعة تسنغهوا، ثم نانجينغ وأخيرًا جامعة هونغ كونغ. ويرجع التفرد في سرد تاريخ الجامعات في الصين لكون البروفيسور كيربي مؤرخًا للصين الحديثة، حيث يتناول في أعماله التطورات الاقتصادية والسياسية والتجارية في الصين المعاصرة في سياق دولي، كما يؤرخ في أعماله لنمو الشركات الحديثة في الصين (الصينية والأجنبية؛ الحكومية والخاصة)؛ وكل ما يتصل بالتطورات في الاقتصاد الصيني، وضمن ذلك العلاقات التجارية عبر الصين الكبرى (الصين القارية وتايوان وهونغ كونغ)؛ وعلاقات الصين مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

والكتاب غني بكم وفير من المعلومات التي تُظهِر سعة أفق المؤلف واطلاعه على طبيعة المجتمعات التي أرَّخ لجامعاتها، وأراها ميزة انفرد بها هذا الكتاب عن أي كتاب أكاديمي آخر أُلِف في المجال نفسه. وبحسب ما يقول المؤلف في مقدمته للكتاب: «نعيش في عالم الجامعات حيث يوجد ما لا يقل عن 30,000 مؤسسة تطلق

على نفسها اسم جامعة بينها 1400 مؤسسة مصنفة في تصنيفات عالم جامعات التعليم العالي المنشور في التايمز»، وهذه عبارة تمهد للقارئ الفكرة الرئيسة والموضوع الأساسي الذي من أجله خرج هذا الكتاب للنور. وقد جاءت المصطلحات الأكاديمية ممزوجة بروح التاريخ والعودة إلى أحداث عالمية أثرت في العالم كافة، وتميزت لغة الكتاب بالمزج بين الطبيعة الأكاديمية للكتابة البحثية ولغة التوثيق التاريخي.

وفي الواقع، تمثل الكتابة الأكاديمية نمطًا متميزًا من الكتابة المعتمدة على البحث والتحليل، حيث يُتوقع من الباحث أن يقدم فهمًا عميقًا ومفصلًا للموضوع المدروس، مدعَّمًا بالأدلة والمراجع الأكاديمية، وهذا ما سيجده القارئ من خلال 11 فصلًا. وفي السنوات الأخيرة، بدأ الباحثون والكتاب في استكشاف طرق جديدة للجمع بين الأسلوبين، ما أدى إلى نشوء نوع جديد من الكتابة الأكاديمية المعروفة باسم: «التاريخ الوجداني» أو «التاريخ السردي»، ويهدف هذا النوع من الكتابة إلى جعل الأبحاث التاريخية أكثر إشراقًا وجاذبية للقراء عبر استخدام تقنيات السرد الروائي وتصوير الشخصيات والأحداث بشكل حيوي وملهم، كما تجمع هذه الطريقة بين عمق البحث الأكاديمي وجاذبية السرد الأدبي، وينتج عنه عمل يتسم بالموثوقية والإثارة في آنٍ واحد. ويعتبر هذا النهج مهمًّا بشكل خاص في التأريخ للأحداث والظواهر، حيث يمكن أن يساعد في جذب اهتمام الجمهور بالمواضيع التاريخية المعقدة والمهمة، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يسهم المزج بين الطبيعة الأكاديمية والتاريخية في تعزيز فهمنا للماضي وتحليل تأثيره على الحاضر، وبالتالي تعزيز الوعي بالتاريخ وتعميق النقاش حول القضايا الحالية.

وقد حاولت -لهذا السبب- في نقل المحتوى من الإنجليزية إلى العربية مع الحفاظ على هذه الروح التاريخية السردية، ويتخللها توصيف لبعض المصطلحات الأكاديمية المتخصصة المتعلقة بالتدريس داخل الجامعات والتصنيفات وقبول الطلاب وإدارة الجامعة وهيئة التدريس، حيث اعتمدت أحيانًا نمط «الترجمة الصوتية» Transliteration[1]، نظرًا

(1) تعتمد الترجمة الصوتية على العناصر الصوتية في الكلمة الأصلية لإعادة إنشاء النطق الصوتي للكلمة بلغة أخرى، دون التطرق لمعنى الكلمة، وهذا ما يحدث عندما لا يوجد مقابل للمصطلح في اللغة المستهدفة نظرًا لاختلاف الثقافة.

لاختلاف بعض السياقات في العالم الغربي عنها في العالم العربي، هذا على سبيل المثال لا الحصر، فمن خلال هذا المزج الفريد بين اللغة الأكاديمية والسرد التاريخي، تعين على المترجم أن يقدم للقارئ العربي الصورة التي تتوافق مع احتياجات الباحثين في عالمنا بما يؤهله للتعرف على عالم الجامعات في الغرب من خلال هذا العمل.

أما المصطلحات الأكاديمية المتخصصة، فلن يجد القارئ العربي صعوبة في فهمها حيث تُرجِـمَت في سياقها التاريخي الصحيح بما يتوافق مع طبيعة كل جامعة ومجتمع، وهذا ما برع فيه المؤلف في سرد الأحداث التاريخية كما ذكرت آنفًا. وجزء كبير من تميز هذا الكتاب منبعه اطِّلاع المؤلف على المجتمعات التي درسها جيدًا وخصها بالبحث، وهذا ما أكده المؤلف في التقديم لكتابه في قوله: «شَرُفتُ منذ كنت في الثامنة عشرة من عمري بالدراسة والعمل في الكليات والجامعات، حيث تلقيت تعليمي الجامعي في كليتي دارتموث وويلسلي، وتعلمتُ في ماينز قيمة دراسة العلوم والفنون الحُرة ذات البعد الدولي، أما في الدراسات العُليا ببرلين وهارفارد فقد سعيت لكسب المهارات اللازمة للتدرب كأستاذ، ثم تعلمت في جامعة واشنطن وفي هارفارد ممارسة ما درسته في المسارين العلمي والوظيفي، وأدركت في خضمِّ هذا كله الثراء والتعقيد في شبكة الجامعات الممتدة من أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وآسيا، وكتابي هذا مدينٌ بالكثير لخبرة أفراد ومؤسسات في القارات الثلاث، ومدين ولتعاونهم ومساعدتهم».

وعليه، فإن القارئ العربي على موعدة مع كتاب ثري، يعتبر إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية، ونظرًا للأهمية المتزايدة للبحث والابتكار في عصرنا الحالي، فإن التعرف على الجامعات البحثية والتعاون معها يعد خطوة حاسمة للتقدم والتطور. عليه، فإن توفير عمل مترجم إلى العربية في هذا المجال خطوة جديدة، وإن تأخرت بعض الشيء، لكن خروج هذا الكتاب إلى النور بهذه الكيفية، نأمل أن يحقق الثمرة المرجوة، أي أن يسهم في بناء مجتمعات أكاديمية أكثر تقدمًا وازدهارًا، ويساعد في خلق مستقبل واعد للأجيال القادمة ومساحات من النقاش الثري والجاد حول عالم الجامعات كما وصفه المؤلف.

د. هبة صلاح

مترجمة وباحثة، في العلوم الاجتماعية والإسلامية